

## الانسان الخفي

تاج صفحة ٤٠٨

زرت من مدة بعض مدن الداخلية وقراها اوغلت في قلب سوريا لاحظت  
التاجر والفلاح تأملت في الملاك والصانع استطلعت مكان اناسهم الخفي وكنت  
راقبت فيلئذ بعض المشاركة مجتازين بيروت الى مواضعهم وثلث ما اعلم من  
ادواء النفوس في الشرق ومن صميم قلب مألوم همست في اذن صحافي ما لم يسعه  
الا اعلانه . والحق يجب ان يقال ولو اثار بعض الافكار

قلت ان تكاثر الاديان في الشرق ليس بنافع للفخر ولا هو سبيل للتبجح  
والمباهاة لان الشرقيين لو لم يكونوا باشد احتياج الى مذهب روجي لما تعبداهم  
الله بالاديان بهذا المقدار ولما تعدد اولياؤهم وكثر بينهم الرسل والانبياء  
بماذا يفرق الانسان عن الحيوان انجسه ام بروحه ؟ باذا يقرب من الله  
ويقتل بهيته ؟ ما الذي يحرره ويديره .

لا تقفوا ياسادني بالانسان الظاهر لا نكتفوا بعودة النيقوقية المضلات  
لا بتورم الحدود وكبر البيوت لا بالخلي ولا بالمال لا . . لا ترجوا نقعا الا بالروح  
بالنفس فقط تصمدوا التحسين . بالقلب بالعقل بالضمير بهذا الانسان الخفي تطلبوا  
الربي . . . .

مهما تحسنت الاملاك معها توسعت التاجر . مهما انقذت الصناعة وتوفرت  
اسباب الراحة للجسم عبثاً نشعر بسعادة اذا لم تنهذب النفوس وتوسع العقول  
عبثاً نطلب التحسين في الناس ان لم يكن مصدره الروح  
شريرة المسيح كلها للانسان الخفي لا للظاهر . احبوا بعضكم بعضاً . احبوا

مبغضكم باركوا لاعبيكم . اي فضل لكم اذا احببتم من يبكم . افعلوا بالناس  
ما تريدوا ان يفعل الناس بكم . وان لم تصيروا مثل هؤلاء الصغار ابطالوا  
الفس طبعاً . لا تترثوا مأكوت السماء . . ما . . . . . هذه الايات ؟ لاي من  
الانسانين فلما تعني ام لظاهر .

هوذا المشرع المقدس : موسى وانبيا اسرائيل ورسول المسيح . جميع  
المشرعين في الارض علموا ادواء الانسان الخفي قبل الظاهر . وما يترأى للبعض  
من الاكتفاء احياناً بالظاهر ليس الا تأييداً لما اخضع بالخفي لان الناس يستسهلون  
التعلم بالخصوص وبعضهم لا يأمرون إلا به .

كثرت الاديان في الشرق من قديم الزمان والاديان مذبذبة للنفوس مرقية  
لها واليوم . . . . . يزل الشرق بشن من الفاسد يتأوه من الاضططاط الى اليوم لانزال  
عبيداً للشر والدين يامر بالخير . ما السبب في الجود . . . ما العامل على هذا التغير .  
أقلية قابلية للتدين او أقلية استعداد للتقوى . لا لا . لا هذا ولا ذاك واقما التدين  
عندنا على انواعه المعروفة لم بعد ملامساً للروح . ورجاله لا يحسنون تعليمه  
بأساليب روحية .

عادات وطقوس اصبحت اليوم عندنا مكان الدين . وروسا . وزعماء بدلاً  
من المرشدين والمدينين .

سمعت بالامس فبساً يدعو للدولة بالخير . يدعو بتجسين الاحوال في  
البابا وفي اليمن بين البدو والحضر . سمعته يلغظ الدعاء بمناطقة رايته قلية .  
قلت لو كان جميع القسس والمشايع يشعرون مثل هذا الشعور لكما بالف خير  
ونساء . لماذا خالف هذا الرجل امثاله من خدمة الاديان بالدعاء لمن هو من غير  
ملته فربأبت انسانه الخفي مدركاً حقيقة الدين وقاهماً قوة الاخاء بين الناس فتليت

مثل هذا لجميع المشايخ والعلماء

سمعت في هذين اليومين ثناءً جميلاً على متصرف هذه المدينة ولم أر من  
الطرابلسيين غير المعجبين بأعماله . وهو تركي من القوم الذين يشكو البعض منهم  
لا يعرف العربية ولا آف عادات السكان ومع ذلك أعماله موجهة لخير البلدة  
واخلاصه باني فيها ولماذا . اليس لان انسانه الحق مستبصر راق

انقلبت احكام الدولة وبديل الاستبداد المطلق بالشورى والقانون فاغتر  
بعض العثمانيين وظنوا التحسين بتغيير المأمورين فناصروا الحكومة الجديدة واذلم  
بروا الاصلاح في الحال انقلب بعضهم عليها ونوهموا بالبائسة احسن منها  
على ان العثمانيين لا يتغيروا بعد وانسانهم الحق لم يكذب بلمس . وهل ترجون  
تحسيناً والامة لا تساء الحكومة حتى بما يطلب منها لها

عشاً كل انقلاب سياسي لا يصحبه انقلاب روحي بمشاً كل تحسين بطلب  
من غير النفس . يشكون من بقاء بعض الامور على حالها يشكون من الرشوة من  
الاستبداد من التعصب الجنسي والتفرق بين العناصر . وهم لو دروا الشكوا من  
الانسان الحق في كل عثماني . ومن منا بلا خطيئة فليرجم هذه الحكومة بجر  
قال جبران خليل جبران الكاتب المشهور - تعلموا اولادكم الرجولية الحقيقية  
فلا يجرهم اذ ذاك خلع عبد الحميد ام لم يخلع . هذبوهم حسناً يعيشون سبب ظل  
الحكومة الظالمة والعادة على حد سوى . حرروهم من عبودية التقليد والتقاليد  
بظلمون احرار في القيود وفي السجون

نحن السوريين نحن الذين شربنا الحُل بدلًا من الخمر . نحن الذين اكلنا  
الشوك بدلًا من الثمر نحن الذين جربنا القيود لما كان غيرنا يجر الحرير والبرفير .  
نحن السوريين . نحن الذين بنينا القصور وسكننا الكهوف والقبور علينا ان

تحرر نفوسنا من عبودية الماضي كي لا نكون اجساداً بلا ارواح . علينا ان نسير  
متفردين ومستوحدين نحو قمة الجبل ومن لا يسير رافعاً رأسه يظل عبداً لنفسه  
ومن كان عبداً لنفسه لن يصير حراً . فالحرية شعاع ينبعث في داخل الانسان  
ولا ينسكب من الخارج . اكتسبوا المال طالعوا الجرائد اسوا الجمعيات تعلموا  
الصنائع والفنون وكونوا نظفي النفوس والاجساد فهذه هي الامور التي تصبركم  
رجالاً احراراً اشداء وسيدات جيلات رفقات

جبران خليل جبران ياسادني عثمانى من لبنان لم يجعله على البأس بقاء حال  
الدولة على ما هي بيننا الملايين من العثمانيين يأنسون . ما السر في هذا ؟ اليس  
لاختلاف انسانه الخفي عن انفسهم الخفية

الفلاح اصح بنية من المدني واجود عاقبة ولكنه ابله منه واحط . ما يراه  
هنا حسناً لا يراه ذاك وما يستفحه الثاني يستحسسه الاول . وكل انسان  
ظاهر سبب بانسانه الخفي

ان الانسان يتكلم بما في القلب . والقلب مبعث العواطف وعواطفه بنت  
التربية والتعليم والوراثة والاحوال وهو محتاج الى ارشاد العقل والعقل محتاج  
الى مراقبة الصمير وكل من الثلاثة مرتبط بالآخر كسلسلة منسلة الحلقات وهذه  
الثلاثة قوى في الانسان هي ما يعبر عنها بالنفس والنفس كل الانسان  
رؤى اثنين متماثلين بالتقوية وباللقاء ورؤى بينهما بوناً شاسعاً لاختلاف  
انسانيهما الخفيين رؤى صورتين لمصور واحد ونوثر احدهما على الثانية لما نسلته  
فيها من دلائل الحياة التي لا تراها بتلك

الزهرة الصناعية معها كانت جبلة لا تؤثر في النفس كالطبيعة ولو شوك  
الوجه الجبل معها بلغ من الجمال لا يستجلب النفوس الا بما يترآى في عينه

من جمال الروح ولكم من وجوه لا جمال فيها تسي التواظر بحمال عينها والعين  
احدى مظاهر الانسان الخفي

المحبة لا تحملوا بين النفوس ولا يعذب الحب الا روحياً والوفاق لا يكون الا  
بالحب ولا سعادة الا ما اوحى بها النفس ولا نفس الا وفيها شعاع من نور الله .  
هذه شريعتي يا سادتي . لا تحسبوها من سقط المتاع . ليست كفرا ولا  
بدعة . من الازل كانت والى الابد تكون وكنتم مسيرون فيها آمناء بها او كافرين .

## الحجاب

ما اجعل واظم اولئك الذين يتهمون النبي محمداً باحداثه الحجاب وامره  
به لاتباعه فلحجاب وجد في الشرق قبل النبي بمدة طويلة ومحمد لم يأمر به ولم  
يضعه على طريقته المتعارفة اليوم بين المسلمين والحجاب ايضا لم يكن معروفاً عند  
العرب الاحرار والتاريخ يدلنا دلالة واضحة لا تدع شكاً في نفس مرتاب على ان  
نساء النبي ونساء خلفائه كن يقعن ازواجهن في اسفارهم وغزواتهم وعائشة زوجة  
النبي قادت الجنود بعد وفاته وقد نشتر الحجاب بين العرب بعد وفاة النبي بمدة  
طويلة عندما اختلطوا بالشعوب الاخرى في اثناء فتوحاتهم واخذت اخلاقهم  
وعاداتهم . بعد ذلك فسد رويداً رويداً بسبب ذلك الاختلاط وما جنوه من  
الثروة الواسعة التي قادتهم الى معيشة البذخ والترف

« احمد بك احاف »